(تأملات في سوره الذاريات)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق فسوى وقدر فهدى وأخرج المرعى فجعله غثاء أحوى وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله نبي الأميين ورسول رب العالمين آخر الأنبياء في الدنيا عصرا وأرفعهم وأجلهم يوم القيامه شأنا وذكرا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى سائر من اقتفى أثره واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد.....

أيها الأخوة المؤمنون...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وهذه أولى دروسنا في هذا المسجد المبارك المتعلقه بتأملات وتفسير لبعض سور القرآن الكريم وهذه ثاني تأملات يتم بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه قولها وتسجيلها نسأل الله جل وعلا أن يجعلها خالصه لوجه وأن ينفع بها حيث ما نزلت وأين ما حلت وقبل أن أشرع في التفسير نبين بعضا من الأمور حتى نكون معكم على بينه السور التي سنشرع في تفسيرها الجزء السابع والعشرون من كتاب الله تبارك وتعالى ومعلوم أن الجزء السابع والعشرون يبدأ من سورة الذاريات في آخرها وعلى هذا فإنا سنشرع إن شاء الله في تفسير سورة الذاريات كامله أي بأننا سنبدأ بسورة الذاريات والمنهج أننا سنقف في كل يوم أو في كل ليله إن شاء الله تعالى مع سورة من هذا الجزء نبدأ بالذاريات ثم نثني بالطور وهكذا حسب ترتيب المصحف.

الأمر الثاني:أننا لا نقف عند كل آيه لأن الله جل وعلا أخبر أن كتابه مثاني بمعنى أنه يثنى ويكرر فنقف وقفات معينه كما شرعنا بذلك في تفسيرنا الذي بمسجد حيينا.

الأمر الثالث: الغايه من الدرس كله تأملات في كتاب الله فينصب الكلم على المسائل العلميه وقليل ما يكون الوعظ لأن المخاطب بالدرس أولا طلبة العلم وطالبات العلم وإن كان الوعظ لايستغني عنه أحد لكنه لا يكون هو قوام الدرس في الغالب.

الأمر الرابع:أننا لانعذر أنفسنا في أننا لن نترك قضية إلا ونحاول قدر الإمكان الإشباع العلم فيها بمعنى أنه نتكلم في المقام الأول لطلاب العلم فما لايحسن كتمه عنهم وينبغي أن يعرفوه سنعرج عليه ونعرض له بحول الله تبارك وتعالى وقوته. هذا ما أستظهره الآن فيما أريد أن أقوله بين يدي التفسير.ونشرع وإياكم ..سائلين

الله جل وعلا أعمالنا خالصه لوجه الكريم إنه سميع مجيب. قلنا إن السوره هي سورة الذاريات وهي سورة مكيه تعنى كغالب السور المكيه بشأن مسائل العقيده وذكر دعائم التوحيد على هذا أكثر سور القرآن المكيه وقد بينا في درس سلفت الفرق ما بين القرآن المكي والقرآن المدني وقلنا إختلاف أهل العلم فيه ونعيده على وجه الإجمال أو نعيد مخترناه على وجه الإجمال أن السور المكيه هي ما نزلت قبل الهجره بصرف النظر عن موطن نزولها والسور المدنيه أو الآيات المدنيه هي التي نزلت بعد الهجره بصرف النظر عن موطن نزولها وقلنا إن قول الله تبارك وتعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكه وهو عليه الصلاة والسلام داخل الكعبه يريد أن يهم بالخروج منها ومع ذلك نقول إن هذه السوره أو هذه الأيه آيه مدنيه لأنها نزلت بعد الهجره.قال الله جل وعلا وهو أصدق القائلين..

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(والذاريات ذروا*فالحاملات وقرا*فالجاريات يسرا*فالمقسمات أمرا*إنما توعدون لصادق*وإن الدين لواقع*والسماء ذات الحبك*إنكم لفي قول مختلف)..صدر الله جل وعلا هذه السوره بقسمين/أولها:قسم متتابع. ثانيها:قسم منفرد. القسم المتتابع هو قوله تبارك وتعالى(والذاريات ذروا*فالحاملات وقرا*فالجاريات يسرا*فالمقسمات أمرا) فالفاء هنا عاطفه على ما قبلها. وجواب القسم هناهو قوله جل وعلا(إنما توعدون لصادق*وإن الدين لواقع)ثم أقسم تبارك وتعالى قسما لوحده أي منفردا عن الأول غير متصل به وهو قوله جل وعلا(والسماء ذات الحبك*إنكم لفي قول مختلف)أما تفسير الآيات فإن العلماء رحمهم الله اختلفوا في معنى قول الله جل وعلا:والذاريات،والحاملات،والجاريات،والمقسمات.لكن جمهور المفسرين والذي عليه أكثر أهل التفسير أن المقصود بالذاريات الريح، ويؤيده من القرآن قول الله جل وعلا (تذروه الرياح)(فا لحاملات وقرا)هي السحب والذي تحمله هو الماء(فالجاريات يسرا)هي السفن تجري بيسروسهوله في البحرويؤيده من القرآن(وله الجوارالمنشآت في البحر كالأعلام)(فالمقسمات أمرا) المقصود بها عند جماهير العلماء الملائكه لكنهم يقولون ليس المقصود جميع الملائكه وإنما المقصود أربعة منهم

وهم/أولاً:جبريل للوحي والحرب.

ثانياً:مكائيل للرحمه والغيث والرياح .

ثالثاً:إسرافيل للنفخ في الصور .
رابعاً:ملك الموت لقبض الأرواح .
وإن قدمت ملك الموت على إسرافيل يكون أليق في الخطاب.ملك الموت لقبض الأرواح ترتيب زمني تاريخي وإسرافيل للنفخ في الصور.فهذه الأربعه كلها من مخلوقات الله ،وأقسم الله جل وعلا بها،وأداة القسم هنا هي الواو،وقد مر معنا وأنا أضطرللتذكير وقد مر معنا أن الواو هنا معناً للقسم وأما كعمل نحوي فإنها تجر ما بعدها ولذلك قال تعالى:(والذارياتِ ذروا*فالحاملاتِ وقرا*فالجارياتِ يسرا*فالمقسماتِ أمرا*إنما توعدون لصادق*وإن الدين لواقع)الجواب هنا جواب القسم هو ما كان القرشيون ينكرونه من قبل وهوأن السورالمكيه نزلت على قوم ينكرون البعث والنشور فأهم قضيه عالجتها.السوره المكيه هي قضية الإيمان بالله واليوم الأخر ومن جملة الأثارالتي تدل على صحة هذا التفسير أي أن الجاريات هي السفن والحاملات هي السحب والذاريات هي الريح والمقسمات هي الملائكه ماروي عن أمير الؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه تعالى عنه وأرضاه أنه صعد المنبر ثم قال رضي الله عنه في أيام خلافته (أيها الناس،اسألوني قبل أتفقدوني فإنكم لن تسألوابعدي من هو مثلي)رضي الله عنه وأرضاه .فقام إليه رجل يقال له ابن الكواء فقال ياأمير المؤمنين . ماالذريات ذروا؟ فقال الريح .فقال فما الحملات وقرا؟ قال السحب قال ماالجاريات يسرا؟ قال السفن . قال فما المقسمات أمرا؟ قال الملائكه .فهذا الأثر يدل على صحة قول جمهورالمفسرين بماذكرناه. وبعض العلماء يقول(إن الذاريات ذروا) هي المرأة عندما تحمل .وبعضهم حمله على غير ذلك لكننا نقف هنا بالذات عند ماقاله جماهير العلماء .لأن الأثار تدل عليه وكذلك من قبل يدل عليه كلام الرب جل وعلا كمابينا في ذكرنا لما يدل على الجاريات وعلى مايدل على الذاريات. قلناإن جواب القسم (إنما توعدون لصادق)(وإن الدين لواقع) مايوعدون أي البعث .والدين المقصودبه هنا الجزاء والحساب .وما يوعدون ما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم من البعث.هذا هو القسم الأول في الآيه وكون الرب جل وعلا يقسم بأربع من مخلوقاته هذا شرف لمن أقسم الله بها وفي نفس الوقت دلاله على أهمية القضيه ولذلك جعل الله الإيمان باليوم الآخر أمراً يترتب عليه الكفر والإيمان فمن ءامن بالله بوجود الله ولم يؤمن باليوم الآخر بالبعث والنشور فهذا لا يعتبر مؤمناً لكن ليس كل من ءامن باليوم الآخر يعتبر مؤمنا حتى يؤمن بمنطق الحساب والعقاب الذي أخبر به

الرسل.فمثلاً:اليهود والنصارى يؤمنون باليوم الآخر ويؤمنون بأن هناك جنه ونار لكنهم يزعمون أن الجنه لهم والنار لغيرهم.قال الله جل وعلا(وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيئ)وقال الله جل وعلا (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا)وقالوا (لن ندخل النار إلا أيام معدودات)وهذا كله إخبار منهم بأن هناك بعث ونشور وهم يؤمنون بالبعث والنشور لكنهم يؤمنون بأمور أخر منها أنهم يجعلون مع الله ءالهة أخرى فقد زعمت اليهود أن عزير ابن الله وزعمت النصارى أن المسيح ابن لله .فأركان الإيمان المنصوص عليها في حديث جبريل عليه السلام لابد من الأ تيان بها كلها حتى يحكم على أي رجل بأ نه مؤمن . ثم قال تبارك وتعالى : (والسماء ذات الحبك إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أوفك) هذا قسم آخر لكنه قسم غير متتا بع جاء لوحده وجملة يقال في معنى قول الرب جل وعلا(والسماء ذات الحبك)والسماء ذات الخلق الحسن أما أقوال المفسرين فإنها تصب في فهم واحد فاختلفوا رحمهم الله في معنى (الحبك)لأن اللغة تحتمل هنا أكثر من معنى فمنهم من قال إنها المقصود بها (والسماء ذات النجوم)من باب قولهم حبكت الشيء بمعنى زينته والنجوم زينة لماذا؟زينة للسماء ومنهم من قال إن الحبك هنا بمعنى الطرائق وهذا يؤيده القرآن (فوقكم سبع طرائق)ومنهم من قال (ذات الحبك)أي الشيء المحفوظ وهذا يؤيده قول الرب تبارك وتعالى عن السماء أنه جعلها سقفا محفوظا وإلى غيرها من الأقوال لكن هذه الأقوال كلها يجمعها أنها السماء ذات الخلق الحسن وهذا اختاره ابن جرير الطبري رحمه الله وكل من قال من المفسرين قولا غير هذا فإنه لايبعد عنه ويصيب فيه.ثم قال جل وعلا(إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أوفك)هذه نقف عندها (إنكم لفي قول مختلف)قال العلماء قال بعضهم في قول مختلف أي مصدق ومكذب إن قلنا بهذا أن المعنى في قول مختلف أي مابين مصدق بالبعث ومابين مكذب له إن قلنا بهذا تصبح الآيه مخاطب بها من؟يصبح جميع الناس لأن لوقلنا الكفار الكفار لايصدقون بالبعث لكن عندما نقول إن المعنى من قول مختلف مصدق ومكذب يصبح المخاطب بالآيه عموم الناس وقال بعضهم وهم الأكثر قالوا في قول مختلف أي اختلفتم في النبي صلى الله عليه وسلم فمنكم من قال إنه شاعر ومنكم من قال إنه كاهن ومنكم من قال إنه ساحر ومنكم من قال إنه مجنون على هذا القول يصبح (إنكم)كاف الخطاب عائده على من؟على الكفار وكفار قريش في المقام الأول إذا قلنا إن المقصود

بالإختلاف التصديق والتكذيب فهذا مرد الخطاب يصبح للجميع وإذا قلنا بما قال به الجمهور من أن المقصود بقول مختلف أي قلت شاعر وكاهن وساحر ومجنون فيصبح الخطاب ماذا؟
الخطاب لكفار قريش(إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أوفك)المعنى (يؤفك عنه من أوفك)أي يصرف عنه من يصرف ويدفع عنه من يدفع بقدر الله لكن يبقى هنا(عنه)عن جاره والهاء ضمير تعود على من؟تعود على النبوه وتعود على القرآن وتعود على البعث والنشور فالإيمان به يصرف عنه من يصرفه الله جل وعلا عن الإيمان هذا قول علماء التفسير هذه الآيه ونقول غير متجرئين والله تعالى أعلم إن هذا القول في نظرنا لايستقيم وأنا أقول والله تعالى أعلم إن المعنى لقول الرب تبارك وتعالى(إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أوفك)نقول لايمكن أن يقسم الرب على شيء لاينكره أحد مثلا الله قال(والذاريات ذروا)ثم قال(إنما توعدون لصادق*وإن الدين لواقع)لماذا أقسم الله؟لأنهم أنكروا البعث والنشور.لكن إذا أخذنا بقول المفسرين (إنكم لفي قول مختلف)معنى الآيه أن هؤلاء القرشيين اختلفوا في النبي صلى الله عليه وسلم هذا لايحتاج إلى قسم لأنهم لم ينكروا إختلافهم في الني صلى الله عليه وسلم ثم إننا إذا أخذنا التي بعدها(يؤفك عنه)وجئنا بالضمير فإن الضميرلايمكن أن يعود على قول مختلف يعود على القرآن يعود علىالنبوه يعود على البعث والنشور كما قال العلماء.وهذا تكلف في الخطاب فيصبح معنى الآيه فيما نظن والله أعلم أن معنى قول ربنا جل وعلا(إنكم لفي قول مختلف)أي هذا القول الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم مختلف مغاير لما عدتموه من الأساطير والأقوال وهذا القول الذي هو الإيمان جملة يصرف عنه من يريد الله جل وعلا صرفه عنه فيصبح(إنكم لفي قول مختلف)أي في نبأ جديد مختلف عما عدتموه مما ينقل لكم من أساطير الأولين(يؤفك عنه من أوفك)أي يقبله من يريد الله ويصرف عنه ويدفع عنه من يريد الله تبارك وتعالى أن يصرفه ممن لم يكتب الله جل وعلا له الهدايه ولاأعلم أحدا قال بهذا القول من قبل لكن لايمنع من الجهر به لأنني قلت أننا في مجلس علم وأنت لايلزمك شيء من قبوله وقلت إن العلماء على قولين .1ـ قول الجماهير(إنكم لفي قول مختلف)المقصود أنكم اختلفتم في النبي صلى الله عليه وسلم .2ـ وآخرون قالوا أي مابين مصدق ومكذب فيكون مرد الآيه للناس .وعلى منهاج جماهير العلماء يكون المرد على كفار قريش والله تعالى أعلم أين مكمن الصواب هذه هي الوقفة الأولى في سورة الذاريات .الوقفة الثانيه: في قول الرب تبارك

وتعالى (إن المتقين في جنات وعيون*ءاخذين ماءاتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين*كانوا قليلا من الليل مايهجعون*وبلأسحار هم يستغفرون)هذه الأربع ءايات فقط وأنا قلت أختار.ذكر الله قبلها أهل الكفر ثم ذكر الله جل وعلا أهل الإيمان في ءايات ظاهره لاتحتاج إلى تفسير (إن المتقين في جنات وعيون*ءاخذين ماءاتاهم ربهم)هذه (ءاخذين) تحتمل معنيين:ـ الأول:إما أن يكون المقصود ءاخذين وقت دخولهم الجنه فيصبح المعنى ما هم فيه من النعيم.والمعنى الآخر أن يكون حال عند ما كانوا في الدنيا الله يصف أحوالهم عندما كانوا في الدنيا يصف حال المحسنين عندما كانوا في الدنيا فيقول(ءاخذين ما ءاتاهم ربهم)إذا قلنا بهذا وهو أنهم ءاخذين ما ءاتاهم ربهم معناها في الدنيا فيصبح المعنى كانوا راضين عن الله ولأنهم رضوا عن الله أخذوا عنه أخذوا الأمر بتنفيذه والنهي باجتنابه والمصائب بالصبر والنعماء بالشكرهذا معنى ءاخذين ماءاتهم ربهم أخذوا الأمر بامتثاله وإنفاذه،وأخذوا النهي باجتنابه وأخذوا المصائب بالصبر،وأخذوا النعماء بالشكر،هذا إن قلنا إنها حال لهم في الدنيا ،وإن قلنا إنها حال لهم في الآخرة فآخذين ماءاتاهم ربهم هذه ظاهرة لاتحتاج إلى تفسير أي أنهم يتقلبون في نعم الرب تبارك وتعالى {إنهم كانوا قبل ذلك محسنين}ثم ذكر الله جل وعلا صفة من صفاتهم وهي التي تقف عندها وقفة علمية لا وقفة وعظية {كانوا قليلاًمن الليل ما يهجعون*وبالأسحارهم يستغفرون}الله جل و علا هنا يخبرعن حال أهل النعيم فالأيه في سياق المدح وأنت تفسر لابدأن تستحضر سياق الآيه حتى لاتقع في حواجز اللغه (كانواقليلاً من الليل مايهجعون) هذه (ما) تحتمل معنيين . المعنى الأول:أن تكون نافيه.والمعنى الثاني :أن تكون صله بمعنى الذي . نطبق الأولي:إذا قلنا إنها نا فيه يصبح معني الآيه (كانوا قليلاً من الليل لايهجعون)فيصبح أيهم أكثر هم مناماً أو قياماً ؟مناماً. فيصبح أن قيامهم في الليل قليل بالنسبه إلى النوم .هذا إذا قلنا إن(ما)هنا نافيه .وإن قلنا إنها صله يصبح المعنى (كانوا قليلاًمن الليل مايهجعون)يصبح أنهم أكثر الليل قائمين.قياماً بين يدي ربهم وقليلاً ماينامون.الآن أنت من حيث اللغة العربيه الأيه تحتمل كم معنى؟ معنيين.لأن(ما) في اللغه تأتي صله وتأتي نافيه.ولايعرف إلامن السياق العام،السياق العام في معرض المدح والثناء،فما دامت في معرض المدح والثناء،لايمكن أن تكون(ما)نافيه.فلا يعقل أن الله يثني علي خلق من خلقه وعدهم الجنان وأعطاهم مايشاءون بأنهم كانوا أكثرالليل نياماً. فحواجز اللغه هنا أخرجها

السياق القرآني لأنه سياق مدح وثناء على تلك الفئه (كانواقليلاً من الليل مايهجعون* وبالأسحارهم يستغفرون) والسحر آخر الليل وهو موطن التنزل الإلاهي وهو موطن إجابة الدعاء وقد قال العلماء رحمهم الله إن يعقوب لما قال لبنيه سوف أستغفر لكم ربي إنما كان ينتظر ساعة السحر لأنها أقرب وقد مرمعنا في دروس سابقه أن طاووس ابن كيسان رحمه الله أحد التابعين كان لاينام السحر وذهب ليزور أحداً يسأله عن مسأله في السحر فلما طرق الباب ردت عليه الجاريه أوالغلام فقال إن مولاي نائم .قال سبحان الله ماظننت أن مؤمناً ينام السحر .لأنه وقت عظيم فيه يتقرب الصالحون إلى ربهم جل وعلا .والنبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ (وصلاة الرجل في جوف الليل الأخر ثم تلا (تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا و مما رزقناهم ينفقون) الوقفه الثالثه:مع قول الرب تبارك وتعالى (هل أتاك حديث ضيف إبرهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلآم قوم منكرون)قبل أن أشرع في التفسير نذكر القصة كامله على عجل ثم نبين ما يمكن أن نخوضه فيها تفسيرا.هنا يخبر الله جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم بنبأ ضيف إبراهيم المكرمين وهم ملائكه كرام قيل إنهم جبريل وإسرافيل وميكال نزلوا من السماء في أصل مهمتهم أن يعذبوا قوم لوط ولوط عليه السلام ابن أخ لإبراهيم كانا يسكنان في أرض ببابل في العراق فلما تآمر القوم على إبراهيم وأحرقوه هاجر لوط بزوجته وابنتيه وكذلك إبراهيم تركوا أرض العراق فنزل لوط عليه الصلاة والسلام في أرض سدوم جهة الأردن حاليا في الضفه الشرقيه من الأردن ونزل إبراهيم عليه الصلاة والسلام في القدس في بيت المقدس في أرض فلسطين فأصبحوا غير بعيدين بعضهما عن بعض.بالنسبه لإبرهيم وبالنسبة للوط.فلما جاءت الملائكه مرسلة لتعذب قوم لوط لأنهم أنكروا نبوة نبيهم وجاؤا بالفاحشة العظيمه مرت الملائكه وهي في طريقها على إبراهيم وكان إبراهيم آنذاك متزوجاً من ساره الحره وليس من هاجر الأمه وكان مع ساره في أرض بيت المقدس فلما جاءها كان إبراهيم يفتح بيته للضيفان فلذلك لم تستأذن الملائكه فدخلت البيت على إبراهيم عليه الصلاة والسلام في صورة رجال غير معروفين فاستقبلهم وهو منكر لهم لأنه لايعرفهم ولما حيو كأنهم سلموا بطريقه غير معهوده (قالوا سلاما قال سلام قوم منكرون)فدخلوا عليه فبادر عليه الصلاة والسلام وكان عامة النعم التي يملكها البقر فعمد إلى عجل سمين فقربه إليهم وقدمه لهم على أنه طعام لضيفه لكن

الملائكه لا تأكل ولا تشرب ولا توصف لا بذكوريه ولا بؤنوثيه ولم تقرب أيديهم الطعام فازداد خوفه قال الله(فأوجس منهم خيفه) فلما شعر بالخوف طمئنته الملائكه وأخبروه أنهم رسل من الله فلما زالوا عنه الخوف بشروه قال الله تعالى(فبشرناه بغلام عليم) وقال في ءاية أخرى (فبشروه بغلام حليم) فلما قال لهم البشاره كان الذي يتولى خدمة الضيوف إبرهيم بنفسه ومعه زوجته ساره فلما قالوا ذلك أحدثت الزوجه كردت فعل متعجبه أحدثت صوت قال الله جل وعلا(فأقبلت امرأته في صرة)هنا(أقبلت)ليست بمعنى مشيت وإنما أخذت في الفعل نظير قول الله (وطفقا يخسفان عليهما من ورق الجنه) أي أخذ يخسفان عليهما من ورق الجنه .فأقبلت المرأه في صرة يعني أظهرت صوتاً يقال صريرالباب يعني صوته (وصكت وجهها) تعجباً (وقالت عجوز عقيم) فذكرت سببين من أسباب منع الحمل :أولاً:عجوز .ثانياً:وعقيم قالت عجوز عقيم فأخبرت الملائكه إبراهيم وزجه أن هذا أمرالله (قالو كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم) فطمأن إبراهيم وقبل البشاره فلما ذهب عنه الروع والخوف سألهم لماذا قدمتم فأخبروه أنهم قدموا ليعذبوا قوم لوط فأدركته العاطفه والشفقه على ابن أخيه لوط (قال إن فيها لوطا) قالت الملائكه (نحن أعلم بمن فيها لننجيه وأهله) وأخبروه الملائكه بأنهم معهم حجارة مسومه أي معلمه عقاباً لأولئك المجرمين .هذا ماتدل عليه الآيه جمله .أما التفسير فسنعرض لبعض القضايا الهامه حوله.ونبدأ مستعينين بالله قول الرب جل وعلا (هل أتاك حديث ضيف إبرهيم المكرمين)هذا لغوياً يسمي إسلوب تفخيم حتى يتهيأ النبي صلى الله عليه وسلم ليسمع الخطاب كلمة (ضيف) تطلق على المذكر وعلى المؤنث وعلى المفرد وعلى المثنى وعلى الجمع (المكرمين)المعنى أنهم مكرمون أصلاً ومكرمون عارضاً.كيف مكرمون أصلاً؟ لأنهم ملائكه والدليل على أنهم ملائكه مكرمون (كراماً كاتبين) أوبأوضح منها (وقالوااتخذالرحمن ولدا سبحنه بل عباد مكرمون)هذا نعت للملائكة هذا مكرمون أصلاً.كيف مكرمون عارضاً ضيوف على من؟على إبراهيم ومن شدة كرمه عليه السلام باشرإكرامهم بنفسه فهو الذي قدم الطعام وهو الذي أدخلهم وهو الذي حيا بهم (ألاتأكلون) وهذامن عناية الرجل بضيفه أن يباشر هو بنفسه إكرام الضيف .هذا معنى قول ربنا (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين*إذ دخلواعليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) العامة تقول وأنا قلت هذا مراراً يقولون بينك وبين فلان عيش وملح...فيه شيء في التقاليد

الموروثه إنسانياً اسمها حرمة المآكله العامه يقولون عيش وملح لكن بتعبير علمي يقال حرمة المآكله أي إنسان غالباً أنت وإياه جلستما على طعام واحد يصبح بينكما شيء من الحرمه ليس حرمة أنك ترى زوجته ويرى زوجتك ليس المقصود هذا.لكن المقصود أنك تغير تعاملك معه لأن هذا الأمر يغير فيك .هذا جبله إنسانيه موجوده عبر التاريخ وإذا أردنا أن نخوض في هذا إنسانياً نقول موسى عليه الصلاة والسلام كان ذكياً في الصغر فلما أراد فرعون أن يقتله قدمت بأمرآسيا قدم له جمر وتمر فعمد موسى إلى التمر يعرف أنه تمر يريد أن يأكله فجاء جبريل ووضع يد موسى على الجمر حتى يفهم فرعون أن موسى هذا لايفقه فلا يتعمد إلى قتله ولئن تحرق يد موسى قليلاً خير من أن يقتل. هذا كله يساق في العمليه كلها. لكن هذا ماهي علاقته بمحرمة المآكله؟ لما أصابت يد موسى الحرق أصبح غير قادر على أن يأكل في الصبا بنفسه فلا يستطيع أن يأكل مع فرعون يحتاج إلى وقت حتى يأكل فيظطر أن لايأكل مع الملك مع فرعون فلما اظطر موسى أن لا يأكل مع فرعون يصبح ليس هناك حرمة مآكله بين فرعون وبين موسى فإذا قدر الله بعد ذلك أن يزيل ملك فرعون على يد موسى لا يوجد لفرعون أي منقبه له على موسى ولا حتى حرمة المآكله ولا يوجد لفرعون أي مخرج على موسى أو مدخل على موسى ولا حتى حرمة المآكله هنا نبي الله إبراهيم يقول لما رءآهم لا يأكلون خاف. إنسان تريد أن تقدم بينه وبينك نوع من الحرمة فيرفض الأكل يصيبك الخوف فقال الله جل وعلا عنه منكرا لهم (قال قوم منكرون)بعد أن بين الله أنه راغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون وقلنا إن الملائكه لا تأكل وهذا مر معنا كثيرا أن الملائكه أصلا لاتأكل ولا تشرب ولا تتناسل ولا تتناكح ولا توصف لابذكوريه ولا بؤنوثيه بل كما نعتهم ربهم وخالقهم (بل عباد مكرمون) ثم قال تبارك وتعالى (وبشروه بغلام عليم*فأقبلت إمرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم) قبل أن أت عند البشاره أخرها قليلا وأدخل في قضايا أخرى:(فصكت وجهها) إذا أردت أن تفسر القرآن إجمع الآيات كامله لا تأخذ القرآن مجزء لن يفهم لأنه كله كلام الله فليس بعضه بأولى من بعض.هنا ساره ذكرت سببين لمنع الحمل وهما:

الأول:عجوز. الثاني:عقيم.

عجوز على وزن فعول وهي صفة وزن يجتمع فيه المذكر والمؤنث يقال لرجل عجوز و للمرأه عجوز. وعقيم معناها واضح أي أنها امرأه عقيم أي لا تقبل أن تأتي بالولد هذا سببان . بقي

سبب ثالث ذكره الله جل وعلا في هود وهو (وهذا بعلي شيخا) إذا كم سبب ذكرت؟ ذكرت ثلاثه. والله جل وعلا هذه الأسباب ذكرها متفرقه لكن ذكرها كلها لأن القرآن كله ينظر إليه منظار واحد فذكرت ساره ثلاثة أسباب أنها عجوز وأنها عقيم وأن بعلها شيخا (وهذا بعلي شيخا*قالوا أتعجبين من أمر الله)كما قال الله في هود (قالوا كذلك قال ربك إنه هوالحكيم العليم*قال فما خطبكم أيهاالمرسلون)قلنا هذه بيناها نعود للبشاره قال الله تعالى (وبشروه بغلام عليم) ساره أم إسحاق، وهاجر أم إسماعيل.هنا نأتي إلى قضيه قلت أنت طالب علم بما أنك طالب علم فيه أشياء ينبغي أن لا تجهلها نحن متفقون كل الملل كفار ومسلمون .اليهود والنصارى والمسلمون متفقون على أن إبراهيم الخليل أمر بذبح ابنه وأن الله جل وعلا فدى ذلك الذبيح.لكن السؤال من هو الإبن الذي أمر إبراهيم بذبحه ثم فداه الله جل وعلا بكبش عظيم؟ اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في هذه السأله على قولين لاثالث لهما :الأول:قول أنه إسماعيل.

والقول الثاني:أنه إسحاق.جمهور العلماء على أنه إسحاق. ولأجل ذلك أنا أردت التنبيه على القضيه هذه لأنه لايعقل أن إنسان يقرأ العلم ويجهل هذا. اختار ابن جرير الطبري رحمه الله شيخ المفسرين أنه إسحاق وهو المروي الثابت عن عبد الله ابن مسعود والروايه الصحيحه عن عبد الله ابن عباس وهو قول أمير الؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعن جملة من الصحابه وعن أكثر من عشرة من سادات التابعين على أن الذبيح هو إسحاق وذهب بعض العلماء الروايه الثانيه عن ابن عباس والإمام أحمد وبعض العلماء على أن الذبيح هو إسماعيل.وكل منهم له أدله،وقال الزجاج رحمه الله وهذا القول الثالث الله أعلم أيهما هو الذبيح لكثرة الإختلاف في المسأله وأنا أقول الحق والله إلىساعتي هذه لاأدري أيهما الذبيح فكلما ترجح قول صدم بأخر. قد يقول قائل (النبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا ابن الذبيحين) هذا الحديث رواه الحاكم في المستدرك وقال عنه الذهبي أن سنده واه جداً فلا يقبل في مسأله كهذه.أما أقوال العلماء لماذا قالوا إسحاق؟ ولماذا ا قالوا إسماعيل فنحاول إجمالاً حتى تتبين. الله يقول ذكر أن قوم إبرهيم أرادوا أن يحرقوه ثم قال عنه في الصافات (قال إني ذاهب إلى ربي سيهدين) ثم دعا ربه (رب هب لي من الصالحين) قال الله (فبشرناه بغلام حليم*فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) بلغ معه الغلام الذي بشر به عند خروجه

من أرض العراق دعا ربه أن يهب له من الصالحين وأن الله بشره هو نفسه الذي قال الله عنه (فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك)الذين قالوا إنه إسحاق قالوا ليس في القرآن دليل واحد على أن الله بشر إبراهيم بإسماعيل المبشر في القرآن هو إسحاق (وبشرناه بإسحاق نبيا) فكل القرآن يدل على أن الذي بشر به بشاره هو إسحاق والقرآن يدل قالوا إن الذبيح هو المبشر به لأن الله قال (فبشرناه بغلام حليم*فلما بلغ معه) "بلغ"هذه فاعلها ضمير مستتر تقديره هويعود على المبشر به على الغلام هذا الذي دفع العلماء للقول أنه هو إسحاق ثم قالوا من أدلتهم قالوا إن الله يقول (فلما بلغ معه السعي) أي أنه عايش في كنف أبيه وإسماعيل لم يعش في كنف كان مع أمه في مكه إنما ولد ساره إسحاق هو الذي كان مع أبوه يغدوا ويروح أما إسماعيل كان لوحده مع أمه و إبراهيم جاء مكه ثلاث مرات مرتان لم يجد إسماعيل والمره الثالثه وجده في المرتين كان يقول غير عتبة الباب... ثبت عتبة الباب... والمره الثالثه وجده.هذا حجج من قال إنه إسحاق الذين قالوا إنه إسماعيل من أكثر من انتصر لهذا الرأي العلامه الشنقيطي رحمه الله تعالى صاحب أضواء البيان قال إنه لا يسوغ القول بأنه إسحاق وأن ظاهر القرآن يدل على أنه إسماعيل واحتج بآيتين الآيه الأولى أنه قال إن الله قال في الصافات (وبشرناه بغلام حليم*فلما بلغ معه السعي قال يا بني)وذكر الله الذبح كله ثم قال الله بعد أن ذكر الذبح (قال إن هذا لهو البلاء المبين*وفديناه بذبح عظيم*إن كذلك نجزي المحسنين*وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) يقول الشنقيطي رحمه الله إن قواعد القرآن تقتضي أنه لايمكن أن يعيد الله البشاره مره ثانيه فالمبشربه بالأول غير المبشربه بالثاني لإن الله قال(وبشرناه بغلام حليم)ولم يسمي ثم قال بعد الحدث قال (وبشرناه بإسحاق نبيا) قال لايمكن أن يكون إعاده للقضيه فجعل الواو واو عطف والعطف يقتضي المغايره طبعا يجاب عنه بأنه لايلزم أن تكون الواو واو عطف ممكن أن تكون الواو واو استئناف فتكون الآيه نزلت منفكه عن الأولى وقال رحمه الله تعالى والدليل الثاني أن الذبيح هو إسماعيل أن الله قال "فبشرناه" يخاطب ساره (بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب)أين وجه الدلاله. قالوا وجه الدلاله هذا قول الشنقيطي وقاله قبله رحمه الله تعالى أقوام قال إن الله لايعقل أن يبتلي إبراهيم بذبح إسحاق وهو قد أخبره أن ذرية إسحاق يكون يعقوب.فما فيه معنى للإبتلاء لأن إبرهيم قبل أن يذبح سيعرف إنه لن يموت لأن الله قال (فبشرناه بإسحاق ومن وراء

إسحاق يعقوب) فلن يأتي يعقوب حتى يكون إسحاق حي فكيف يموت ولم يأتي يعقوب إذاً هذا ليس إبتلاء إذاً ليس المقصود إسحاق ولكنه من؟ كيف يجاب عن هذا. نحوياً يستحيل المانع.العرب إذا عطفت تكرر حرف الجر تقول مثلاً:.مررت بصالح ثم مررت بعده خالد هذا لايستقيم لابد أن تقول إذا أردت العطف تقول: مررت بصالح ثم مررت من بعده بخالد إذا قلت الباء أعدت الخافض السبب في الخفض، فهذا يستقيم لغة. الله هنا قال:(فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق) لو كان المقصود العطف يعني كلها بشاره واحده كان يصبح الأيه (ومن وراء إسحاق بيعقوب) فلما حذفت الباء دلت على أن الأيه منفكه بمعنى أن البشاره فقط بإسحاق أما (ومن وراء إسحاق يعقوب) هذه غير داخله في البشاره لأنني قلت العرب إذا أرادت أن تعطف بخافض تكرر الخافض فإذ لم تكرر الخافض دل علي أن الواو ليست عطفا وإنما هي واو للإستئناف كلام جديد طبعاً قد يأتي قائل يقول هذا لا.لا يلزم منه القاعده ويخرمها هذا الذي جعل الإنسان يتردد في أيهما الذبيحين لكن معلوم أنه لايتعلق بمعرفة أيهما الذبيحين عمل في حياتك اليوميه لكن الذي أردته عمدا من إيثار القضيه أن تعرف أولا أن في المسأله خلاف وأن كثيرين من العلماء قالوا بأنه إسحاق وكثيرين آخرين قالوا بأنه إسماعيل لكن المهم جدا أن تعرف أن لكل قوم دليلا وأشهر من قال من المفسرين أنه إسحاق ابن جرير إمام المفسرين وأشهر من قال من المفسرين أنه إسماعيل الحافظ ابن كثير رحمه الله والعلامه الشنقيطي رحمه الله ورحم الله جميع علماء المسلمين..الوقفة الأخيره من هذه السورة ذكر الله بعد ذلك أخبار الأمم والرسل وهذه مرت معنا كثيرا في تفسيرات سلفت لكن نقف إجمالاً قال الله تعالى (وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) الريح العقيم:ـ التي لا تلقح شجرا ولا تثير سحابا (ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم) قلنا إن هذا لا يعني العموم فليس كل شيء أتت عليه جعلته كالرميم لأن الله قال (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) فأثبت وجود المساكن إلى أن نصل إلى قول الرب تبارك وتعالى (فتولى عنهم فما أنت بملوم*وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)(وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) آيه تحمل البشاره لمن أنزلت الآيه وهم أحياء. أين البشاره؟ قلت إذا أردت التفسير انظر لما قبل وما بعد. تأمل يا أخي.الله يقول لنبيه الآن الرسول ذكر الله في الآيه قضيه الإيمان بالبعث الأخر. ثم قال لنبيه (فتول عنهم فما أنت بملوم)فقول الله جل وعلا لنبيه(فما أنت بملوم)تشعر أن الله

أعذر نبيه في دعوة أولئك الناس. صحيح أو غير صحيح؟صحيح الله يقول لنبيه(فما أنت بملوم)وقول الله جل وعلا قبلها(فتول عنهم)ماذا يشعر؟ أن الأمورانتهت أنت فعلت ماعليك دعوت... أنذرت... بلغت...(فتول عنهم)اتركهم فالمؤمنون الذين كانوا آنذاك أحياء ونزلت هذه الأيه وهم موجودون أخذوا ينتظرون العذاب على الكفار وأن النبي صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي بالنسبة إليه لأن الله اعذره وأمره أن يتولى قال:(فتولى عنهم فما أنت بملوم) وأعذره الله تبارك وتعالى.ثم لما أصابهم هذا الخوف أخبرالله أن الوحي مازال مستمراً فقال بعدها(وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)يعنى لاتقطع البلاغ... استمر في تذكيرك فهذا يدل على أن الوحى آنذاك غير منقطع فأصبحت هذه الآيه كما قال علي رضي الله عنه وغيره أصبحت نوع من البشاره للمؤمنين (فتولى عنهم فما أنت بملوم *وذكرفإن الذكرى تنفع المؤمنين)هذا ماتهيأ إراده وتيسر قوله حول هذه السوره وأسال الله جل وعلا أن يتقبل منا ومنكم ....

